

عنوان البرنامج: مدخل إلى الفكر العقدي السني
الوحدة الثالثة: الأعلام الكبار للفكر الأشعري
الدرس الثاني: عبد القاهر البغدادي
اسم المحاضر: الدكتور جمال علال البختي

عبد القاهر البغدادي

لقد سار على منوال الباقلاني في التأليف والدفاع عن الفكر الأشعري مجموعة من التلاميذ المرموقين، منهم ابن فورك (ت. 406هـ/1015م) الذي أسس مدرسة بنيسابور لنشر المذهب واشتهر بالرد على عبد الله بن كرام المجسم، ومن التلاميذ أيضاً أبو إسحاق الإسفراييني (ت. 418هـ/1027م) الذي بنى مدرسة عظيمة بنيسابور ليدرس بها الفكر الأشعري كما اشتهر بمناقشته للمعتزلة. ومن أشاعرة هذه المرحلة المتميزين أيضاً أبو منصور البغدادي (ت. 429هـ/1037م) الذي تخرج على يده جيل كامل من الأشاعرة من أبرزهم أبو القاسم القشيري (ت. 465هـ/1072م).

حياته ومؤلفاته

أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد التميمي. ولم يعرف تاريخ ميلاده ولا مكانه. والذي يعرف أنه ورد مع أبيه أبي عبد الله طاهر نيسابور، وكان والده غنياً ذا مروءة، وأنفق ماله على أهل العلم والحديث حتى افتقر.

ويعد أبو منصور من أئمة الأصوليين وأعيان فقهاء الشافعية. وكان من شيوخه أبو عمرو النيسابوري -شيخ الصوفية بنيسابور- (ت. 366هـ)، وأبو أحمد الجرجاني -أحد أئمة الحديث- (ت. 365هـ)، وأبو إسحاق الإسفراييني، -العالم الفقيه بالأصول- (ت. 418هـ).

كان البغدادي ماهراً في علوم كثيرة، وفي علم الحساب خاصة. وكان عارفاً بالنحو، وبرع في علوم الدين، فاشتهر اسمه وبُعِدَ صيته. ولما مات شيخه الإسفراييني قام مقامه في التدريس بمسجده، فأملَى سنين، واختلف إليه الأئمة فقرؤوا عليه، وكان منهم ناصر المروزي، وزين الإسلام القشيري وغيرهما.. وقيل إنه كان يدرس في سبعة عشر فناً، مع التميز في أصول الدين والحساب. ولما نشبت فتنة التركمان

في نيسابور فارقها إلى إسفرايين، فابتهج الناس بمقدمه، ولكنه لم يعيش فيها إلا زمناً يسيراً؛ حيث مات في السنة ذاتها، ودُفن إلى جانب شيخه أبي إسحاق الإسفراييني.

من أهم مؤلفاته: «تفسير القرآن» و«الناسخ والمنسوخ»، و«التكملة في الحساب»، و«فضائح المعتزلة»، و«فضائح القدرية»، و«نفي خلق القرآن»، و«الصفات»، و«العماد في مواريث العباد». ومن أجلّ كتبه العقدية التي وصلتنا: كتاب «الفرق بين الفرق»، وكتاب «أصول الدين»، و«كتاب الملل والنحل»، و«كتاب الناصح والمنصوح». و«تفسير أسماء الله الحسنى».

منهجه وأهم آرائه في علم الكلام:

اختص البغدادي بمنهجه الذي يتميز بتقسيماته الهندسية المحكمة، وعرضه الآراء المختلفة في المسألة الواحدة بإيجاز غير مخل. وقد ذكر في كتاب «أصول الدين» خمسة عشر أصلاً من أصول الدين، وشرح كل أصل منها بخمس عشرة مسألة من مسائل العدل والتوحيد والوعد والوعيد، وما يتعلق بها من مسائل النبوت والمعجزات، وأشار في كل مسألة منها إلى أصولها، كما ردّ بقسوة على القدرية والروافض والخوارج وغير ذلك من الملل والنحل.

وعموماً فإن البغدادي يعرض في كتبه مسائل علم الكلام التي جاء بها أبو الحسن الأشعري لا سيما في كتابي «المقالات» و«اللمع»، ولكن على نحو منظم ومبوّب. وقد سار البغدادي على هدي الباقلياني في الأسلوب والتخطيط المنهجي، حيث بسط المقدمات العقلية ثم تحدث عن المعتقدات الدينية، والمقدمات عنده صنفان: صنف يقدّم نظرية في العلم وأقسامه وأصنافه، وصنف يطرح فروضاً نظرية حول العلم والإنسان، أما المعتقدات الدينية فموضوعها ذات الله وصفاته وأسمائه وأفعاله والنبوت والمعاد والثواب والعقاب والقول في الإمامة. وقد أضاف البغدادي إلى المباحث العقدية التي قررها الباقلياني مباحث جديدة كالمبحث المتعلق بـ«أحكام العلماء والأئمة»، ومبحث «حكم أهل الأهواء والبدع» وغيرها من المباحث. أما المقدمات بصنفيها فقد وضعت للدفاع عن وجهة نظر معينة داخل المذهب تجاه المذاهب الأخرى.

إن البغدادي يعد مصدراً رئيساً من مصادرنا عن عقيدة الأشاعرة، أولاً لدقته في إيراد مذهبهم، ولاستيفائه لأوجه آرائهم في مختلف مسائل الدين، والحجج التي أدلوا بها في الدفاع عن هذه الآراء ضد الخصوم، خصوصاً وأنه ينقل عن كتب للأشعري والقطان والقلاسي ضاعت كلها.

إلى جانب هذا فإن الدور الأساسي الذي قام به البغدادي بالنسبة للفكر الأشعري هو أنه صاغ آراءه وفكره لا على أنها مجرد فكر لفرقة إسلامية خاصة، بل فعل ذلك على أنه عقيدة جمهور أهل السنة من المسلمين. فالبغدادي يؤكد أن مذهبه الأشعري هو بعينه مذهب الصحابة والتابعين ومن تلاهم من

الأئمة الأعلام، فمن أوائل الأشاعرة في نظره علي بن أبي طالب، وعبد الله بن عمر، ثم عمر بن عبد العزيز، ثم زيد بن علي زين العابدين، ثم الحسن البصري، ثم الشعبي، والزهري، فأبو حنيفة والشافعي ثم أبو الحسن الأشعري... وقد كاد هذا الأمر يتقرر في العقول لولا ظهور ابن تيمية (ت: 728هـ/1327م) الذي أنكر عليه هذا الرأي، ودافع عن مذهب أصحابه من السلف.

إنه إلى جانب الباقلاني وابن فورك والإسفراييني والبغدادي -الذين كان الكلام أكبر شغلهم- وجد بعض الأشاعرة الذين انقطعوا -إلى جانب اهتماماتهم الكلامية- إلى عالم التصوف والزهد. ولعل من أبرزهم أبا القاسم القشيري (ت: 465هـ/1072م) الذي سجل للفكر الأشعري نقلته النوعية الجديدة حتى لقد كاد أن يصبح التصوف -انطلاقاً منه- أشعرياً، والأشعرية تصوفاً.

هؤلاء -إذن- هم أهم أعلام الفكر الأشعري للمرحلة الأولى، المرحلة التي قلنا إن منهج أصحابها عرف (بطريقة المتقدمين)، وإن من أهم سمات هذه المرحلة قصور مفكراتها في استعمال القياسات المنطقية نزولاً عند رأي الباقلاني الذي حكم بأن بطلان الدليل يؤذن ببطلان المدلول. لقد استمر الحال على هذه الطريقة إلى حين ظهور إمام الحرمين الجويني الذي أعاد النظر في القاعدة السابقة، وأعلن بـ«أن بطلان الدليل لا يؤذن ببطلان المدلول». يقول ابن خلدون: «لما ألف الجويني «الشامل» و«الإرشاد» واعتمد الطرق المنطقية وأفاض القول فيها، أدى ذلك إلى انتشار علوم المنطق وأقبل الناس عليه فتبين لهم أنه معيار وقانون الأدلة فقط، وفرقوا بينه وبين العلوم الفلسفية، وبالتالي لم يعتقدوا ببطلان المدلول من بطلان دليله - كما صار إلى ذلك القاضي -، فصارت هذه الطريقة من مصطلحهم مباينة للطريقة الأولى وتُسمى طريقة المتأخرين». فمن هو الجويني؟ وما هو منهجه وأهم آرائه العقدية؟ هذا ما سنقف عليه -بحول الله- في الدرس اللاحق.